وداعاً أراغون

مسيرة حياته هي رسالة لنا

محمود أمين العالم

كما يعرف انه توقف عن الكتابة منذ ما يقرب من اربعة اعوام ، على نحو كما يحس بانه موجود معنا ، بينما نسمع عنه ، ونستمع اليه ، ونبصر صورة وجهه المتهلل في هذه المحلة او ذلك الشارع الباريزي ، او نراه مثالاً للمناضل الشيوعي الاخير لجريدة "الانسانية" ، في ١٢/١١ ايلول الماضي ، في المعرض الذي اقيم تكريماً له ، وبضم اعمال الفنانين رافقوه رحلة عمره الفرنسي والعربي ، وكنا نحس في الاعوام الماضية ، بالاستمرار وهو يعطي للقيمة المجيدة الابداعية التي يجسدها ، والمثالية التي يرقد امامنا في سلام المهيب ، في باحة الحزب الشيوعي الفرنسي ، يوم الثامن والعشرين من كانون اول ، محاطاً بالمئات من ابناء الشعب الفرنسي والعشرات من الوفود من انحاء العالم ، كنت ما زلت اشعر بوجوده الحي معنا ، يستمع بوقار الى كلمتي النائبين الشيوعيين ، ورئيس الوزراء الاسبق ، امين عام الحزب (مارشيه) ورئيس الوزراء الاسبق ، ليونيل جوسبان الذي حمل وحمل النعش بعيداً وغاب وراءه ، يعرض شعور مفاجئ بان اراجون لم يعد معنا . احسست بانه بالفعل قد غادر عالمنا ، واننا اصبحنا وحدنا ! واحسست كأنما هو الذي يقول لنا

"وداعاً . ايها الرفاق ، واصلوا الطريق" . على انني كدت اسمع اليه كذلك يتمتم بابياته التي عبر بها شعراً عن كلمات المناضل "حاربيل بيريه" وهو يساق الى الموت "لو عاودت المسيرة ، لاخترت الطريق نفسه" .

لقد مات اذن اراجون ، مات بعد ان اكتملت مسيرة حياته ، واكتملت رسالته ، ولم تكن رسالته في الحقيقة الا هذه الحياة نفسها حقاً ، ما اروع ان تكون حياة الانسان نفسه هي رسالته نفسها ! ولم تكن رسالة اراجون الا هذه الكلمة الصغيرة الابداع ، نعم الابداع كان رسالته الابداع باشمل واعمق ما تعنيه هذه الكلمة ، الابداع الذي هو الجوهر المتجدد والمجدد لانسانيتها كلها . وعندما بدأ حياته دادائياً او سيرياليا ، كان قد اختار الابداع ، ولكنها كانت نقطة البداية القلقة ، التي ما تزال تبحث عن يقين ، لقد

راح يشارك هو وزملاؤه فنانون مثل بريتون وايلوار في التمرد على الواقع السائد ، في رفض القيم البرجوازية السائدة ، في البحث عن رؤية جديدة للعالم ، للانسان . وكانت السيريالية بالفعل تعبر عن هذا التمرد وهذا الرفض . ولكنه كان تمرداً ورفضاً عاطفياً غيبياً ، يتعالى على الواقع ولا يكاد يشارك في المعارك المحتدمة من اجل تغييره نعم لا بد من تغيير روحي ، عاطفي ذوقي ، جمالي ، ولكن .. في ارتباط مع معركة تغيير هذا الواقع الاجتماعي السائد ، ولا ينبغي ان يكون ثمة انفصال بين المعركتين . الابداع نعم ، ولكنه الابداع الملتزم بتغيير الحياة وتجديدها وتثويرها الى غير حد ، الابداع بالانسان ، ومع الانسان ومن اجل الانسان ، الابداع الجماعي المناضل ، وهكذا اخذ يبتعد اراجون شيئاً فشيئاً عن زملائه السرياليين . وفي هذه المرحلة من عام ١٩٢٨ يكتب كتابه "النقدي" : "مقال في الاسلوب" يعبر فيه عن هذه الازمة بينه وبين السرياليين ويمهد للانفصال الايديولوجي عنهم . وفي هذه المرحلة يلتقي "بالزاتريولية" هذا اللقاء الخصب الذي يجذر تحوله الايديولوجي ، والذي تبدأ به رحلة عمر مشترك من الحب والابداع والنضال ، ويسافر اراجون الى خاركوف مشاركاً في مؤتمر المثقفين الثوريين عام ١٩٣٠ ، وكانت بقايا السيريالية ما تزال تتنفس في مفاهيمه ، ولكنه يعود وقد حسم الامر . فيبتعد نهائياً عن الحركة السيريالية ، وينخرط نهائياً في حزب الطبقة العاملة الفرنسية ، الحزب الشيوعي الفرنسي ، الاستمرار الخلاق لتراث الثورة الفرنسية ، واذا كان هذا الحزب قد اعاد الى اراجون — كما يقول هو — "عيونه وذاكرته" . فان اراجون قد اسهم في صياغة الجانب الثقافي من ايديولوجية الحزب ، بل لعله اسهم كذلك في تشكل وتغذية الوجدان الثوري الفرنسي عامة ، بل الوجدان الثوري لعصرنا الراهن كله ، بابداعه الفذ في مختلف مجالات الابداع الادبي ، من شعر ورواية ونقد ، فضلاً عن ممارساته النضالية .

منذ اول دواوينه الشعرية الذي صدر عام ١٩٢٠ تتوالى دواوينه الشعرية التي تبلغ ثمانية عشر ديواناً لعل اكثرها شهرة في عالمنا العربي هو "عيون الزرا" . فقد يكون الوحيد — في حدود علمي — الذي ترجم الى اللغة العربية ، ولكننا لا نكاد نعرف شيئاً عن ملحمته الرائعة "محنون الزرا" التي تمس بعمق ورهافة تاريخنا العربي في الاندلس ، على ان شعر اراجون ليس مجرد شعر يقرأ في ركن معزول . فما اكثر قصائده التي تحولت الى اغان شعبية يقوم بادائها كبار المغنين الفرنسيين من امثال "براسنس" "وليوفيري" وفيرا وانف مونتان وغيرهم . ان شعره "شعر الحب — الثورة" ، شعر الحب الانساني الكبير ، شعر "الحياة — الحرية" المعبر عن كل ما يزخر به من تناقض وحيوية . وما اكثر ما يتهم بالتقليدية لحرصه على التمسك بالاشكال الشعرية التقليدية ، الا ان هذه التقليدية في بنيته الشعرية لم تحرم هذا الشعر من ان يكون معاصراً شديد المعاصرة ، دون ان يجنح الى نثرية او تسطح او جمالية زخرفية خالصة . بل لعلها اتاحت له ان يكون — رغم عمقه وخصوبته — بعيداً عن الابهام ، ميسراً للناس كافة . ان شعره تجديد للتراث الشعري والفرنسي واضافة الى التراث الشعري العالمي عامة والتراث الشعري الثوري خاصة .

ولا تقل اسهامات الروائي اراجون عن اسهامات الشاعر اراجون عشر روايات اصدرها بين روايته الاولى "احراس بال" عام ١٩٣٤ حتى روايته الاخيرة "مسرح" عام ١٩٧٤ . انها ملاحم نثرية لعصرنا

/ يتبع في الحلقة القادمة

مذكرة التاريخ

٢/٢٥ — انتتاح الجامعة العبرية (جبل سكوبس) وقد حضر الافتتاح اللورد بلفور . قوبل الحفل بالسخط الشديد من العرب ١٩٢٥

— انتتح اول برلمان ليبي في عهد الملك ادريس السنوسي في بنغازي ١٩٥١

٢/٢٦ — مؤتمر يافا — واعلان الثورة الفلسطينية على الانتداب البريطاني ١٩٣٣

— توقيع معاهدة صلح السادات بيغن (كامب ديفيد) ١٩٧٩

— وفاة المناضل الوطني سلطان باشا الاطرش ١٩٨٢

٢/٢٧ — المؤتمر الاول للاممية الشيوعية ١٨١٩

— استشهاد قائد الثورة الفلسطينية عبد الرحيم الحاج محمد في جبال نابلس — قرب صانور ١٩٣٩

— ابعاد الدكتور احمد حمزة النتشه والدكتور عبد العزيز الحاج احمد ١٩٧٦

— يوم المسرح العالمي .

٢/٢٨ — ميلاد كسيم غوركي ١٨٦٨

— ثورة القدس ونابلس على ابراهيم باشا ١٨٣٤

— انعقاد مؤتمر الاتحاد الدولي لعمال الحرب من ٢٨ — ٣/٢١ ١٩٦٤

٢/٢٩ — ادان مجلس الامن الدولي الاحتلال لهجومها في ٥٥/٢/٢٨ ١٩٥٥

— الاعلان الرسمي عن تاسيس الاتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي ١٩٥٩

٢/٣٠ — يوم الارض الفلسطينية الخالدة ١٩٧٦

— وصول الوفد الفلسطيني المنتخب من اللجنة التنفيذية الى الصين ١٩٣٠

٢/٣١ — تاسيس الحزب الشيوعي العراقي ١٩٢٤

حينما يكبر الشوق

محمد جليل عبره

جبل الكبر / القدس

عندما يكسر كل الاغصان
ويقتل كل الاطفال
وحينما يسلب كل الابتسامات
والافراح
حينما يكبر الحنين والشوق
حينما يكبر معنى الارض والحب
حينما يترجل الفارس
حيث ينهض الطفل الباكي
تعلو الابتسامة
والقبضة المشدودة
حيث يزرع شجرة
وينجب الطفل تلو الطفل
وحينما لا تنفع الدبابات
امام الصدر العاري
وحينما لا تنفع الرشاشات
امام الحجر الناري
وحينما يحترق الماء
ليزيد اللهب اشتعالا
يكون ذلك ،
من اجل البسمة
من اجل الطفل الصغير ...
الرضيـــع
في المهد .. في السرير
في زنزانة السجانيـــن

لقطة

شتي وزيدي

فالح العطاونة

للشتاء اغنية فيروزية ، تثير على الشيوخ والاطفال — على حد سواء — احاسيس مبهمة مشفشة في صدورهم الظماى للخير والطمانينة ، ولكن للشتاء وثلوجه في ايامنا مذاق مائر قلق هنا فلاح فقير ونظرة متعطشة لنتف الثلج المتارجحة في الفضاء . وفوق على شجرة الزيتون وبقايا الارض المسروقة ، وهموم لا حصر لها ينفثها المذياع عن البرد والخيام والدموع . وهناك جوع وارتجافات وحمرة دانية في سيول الضيم المتسللة من بين الانفاس . ومذياع آخر — وبنعيق — يحكي عن الحصار ومنع التجول ، واهتزازات عصا على طفولة تنضح شوقاً للدفء . وكالعادة ينتهي الخبر باغنية مزيفة عن "الامل والخوف عليهم" و "انقاذ ما يمكن انقاذه" .

وبين هنا وهناك تتلاشى المسافات ، ويتوحد الالم والامل ، هنا وهناك اطفال وشيوخ ونساء لهم آمالهم وبردهم وما تحمل من حلم دافئ ، وانتم ومذياعكم لكم دفئكم ودولاراتكم وشعاراتكم "القديمة الجديدة" الباردة . هنا وهناك اطفال شيوخ بتجاربهم وعذاباتهم . وانتم شيوخ اطفال ببلاهتكم الماكرة انتم السادة العبيد ، والعبيد السادة . وهنا وهناك سمو انساني فوق الجراحات . لكم اغانيكم ورقصكم . وما يثيره اللون الاحمر في نفوسكم ، ولنا اغانينا واناشيد اطفالنا وفرحتهم للمطر واللون الاحمر وما يذكرنا به !

ينزل المطر .. يرتفع الثلج كيفما يشاء ، ولكن تظل قلوب الاطفال عامرة ودافئة بحب المطر والربيع ، والجرح "يثلم" السكين . والضجيج الكاذب مهما علا واختبأ به الكره وراء الشعارات الكاذبة . تبقى اغنية الاطفال "شتي وزيدي" قادرة على تبديد ظلمة العروش . وفرز المواقف والشعارات . وليرتفع الصوت الفيروزي "شتي يا دنيا " ، ما وثلج ، وخوف كاذب ، وكذب خائف ، ويولد الربيع ، وتحتضر تجارة الشعارات ، وتبقى اغاني الطفولة عن الحب والمطر وعشق الشمس ، والفرح المسروق حتى يسترد !

قصة قصيرة

يوم الخميس

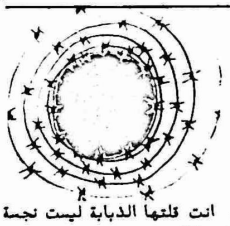

كنت مستودع اسراره . لا اعرف لماذا خصني بالذات . لعله يرتاح لي ، كما ارتاح له .

رأيته عابساً متكدراً .

— كان ظلام كل التاريخ في عينيك

— الذبابة ليست نجسة ولكنها "بتسد المنافس" .

— لعلك صادفت بعض الدجالين او الادباء .

— دخلت وهي تحت معطفي ، فما ان رآني حتى اخذ الشرر يتطاير من عينيه . كان جالساً كالعادة في صدر البيت ..

— لا عليك . الم اقل لك تجنب الاوغاد !

استمر غير منتبه الى محاولتي تهوين الامر .

— صاح .. كل الناس الا انت وجريدتك . يجب ان توضع خلف الجدران !

قلت محاولاً تهوين الامر مرة اخرى :

— انت قلتها الذبابة ليست نجسة ولكنه قاطعني .

— القيد لم يخلق لنا .. انت تقرأها كل اسبوع .. كيف يمكن ان يكون واحد من ابناء شعبنا هذا الذي يحمل لها كل هذا الحقد ! !

قلت : ولكنك تزيد كل اسبوع من ارقام توزيعك .

ابتسم قائلاً :

— صحيح الذبابة ليست نجسة .. وامثال هؤلاء لن يغيروا ، بحقارتهم مسيرة التاريخ واضاف فرحاً :

— اليوم اعطيتها لعامل كسارة .. لكم اعجبه ذلك المقال الذي يحذر من خطر التذييل .. لقد قلب صفحاتها وقرأ عن شبيبة العمل التطوعي وهم يعلنون عن تضامنهم مع المزارعين بمعاولهم .. آه لكم انتظر يوم الخميس بشوق لاعود الى اللقاء مع امثال هذا العامل .

ع/ع